إحكام الأحكام

شرح

عمدة الأحكام

للإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد

تقي الدين ابن دقيق العيد

٦٢٥ — ٧٠٢

رحمه الله وغفر لنا وله وللمسلمين

أملاه على الوزير عماد الدين بن الأثير الحلبي

٠٠٠ — ٦٩٩

بتحقيق
محمد حامد الفقي

ومراجعة
أحمد محمد شاكر

الجزء الأول

١٣٧٢هـ — ١٩٥٣م

مطبعة السنة المحمدية

٥ شارع غيط النوبي — القاهرة

ت ٧٩٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، ونسأله المزيد من فضله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيدُ المرسلين ، وخاتم النبيين ، وخِيرتُه من خلقه . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

بعثه إلى الناس كافة هادياً و بشيراً ونذيراً ، وافترض عليهم طاعته فى شأنهم كله ، من شؤون دنياهم وأخراهم ، وجعل ذلك شرطاً فى صحة الإيمان ، وفى النجاة يوم القيامة من عذاب النار ، فقال : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً) .

فلا نجاة لأحد إلاّ أن يطيع الله ورسوله ، فيما نزل من الكتاب ، وما ثبت من السنة الصحيحة ، وعلى مَرِّ الأزمان ، وكَرِّ الدهور ، حتى تنقضى هذه الحياة الدنيا على الأرض . ولن يقبلَ الله من مسلم أن يخضع لتشريع غير شرعة الله ورسوله . فمن فعل فهو خارج من عداد المسلمين ، وهو حرب على الله ورسوله ، وعلى الشريعة التى أُمر باتّباعها .

فلينظر امرؤ لنفسه ، وليتّق الله ربَّه ، وليرفضْ كلَّ شريعةٍ غيرِ شرعه . و إلاّ فالنارَ النارَ . أجارنا الله من عذاب النار .

و بعد : فإن الحافظ عبد الغنى المقدسى رحمه الله ، أراد أن يقرب المعرفة بالسنن للناشئين . فجمع مختصراً موجزاً فى أحاديث الأحكام ، اقتصر فيه على أحاديثَ من أعلى أنواع الصحيح ، ممّا اتفق على إخراجه الشيخان : البخارىُّ ومسلم ، فى صحيحيهما . فكان كتابه هذا « عمدةُ الأحكام » ، وكان كتاباً قريباً لطالب العلم المبتدىء والمتوسط ، ثم لايستغنى عنه المنتهى والمتبحِّرُ .

وهذا هو المعنى الصحيح للاختصار والإيجاز : الاقتصارُ على بعض أصول العلم واضحةً بينة ، حتى إذا أتقنها طالبُ العلم انتقل إلى كتب أوسع ، فيها علمٌ أكثر وتفصيلٌ أوفَى . لا الإيجازُ المزعج الذى سار عليه كثير من المتأخرين ،

أن يحاولوا ـ زعموا ـ جمعَ العلم الكثير فى اللفظ القليل ، فينتهى بهم ذلك إلى الإلغاز والتعجيز ! ! فيكون ماجمعوا أو كتبوا أكثر مشقة وأبعد فائدة عن الطالب المنتهى ، فضلا عن المبتدىء والمتوسط . إذ يكون هَمُّ الطالب فى هذه الحال الوصول إلى المراد من الألفاظ المدمجة المُلْغِزَة ، فيضيعُ جهده فى تفهم المراد من دلالة اللفظ ، قبل أن يصل إلى مرتبة التفقه فى المعنى الذى هو المقصود له . وهيهات أن يصلَ ، بل هيهات أن يصيب المراد من دلالة اللفظ المعقَّد .

ثم نعود إلى ماصنع الحافظ عبد الغنى : فإنه جمع أكثر من خمسمائة حديث ، هى أصول الأبواب أو جُلُّها . فكان كتابه مما يُحفظ و يقتنى . وعُنِيَ به أهلُ العلم قديماً

ثم جاء القاضى الوزير ، عماد الدين بن الأثير ، فاختار حفظ هذا الكتاب النفيس ، واحتاج إلى أن يتفهمه و يتفقه فى الاستنباط من أحاديثه ، وهو فقهُ السنة على معناه الصحيح . فلم يجد خيراً من الإمام الحافظ الحجة ، تقى الدين بن دقيق العيد القشيرى . فكان من بينهما هذا الشرح النفيس :

ابنُ دقيق العيد يَشْرَحُ ويُملى ، وابن الأثير يكتبُ و يستملى ، حتى خرجتْ هذه الدرة المنتقاة .

وقد طبع هذا الشرح قديماً فى الهند .

ثم طبعه الشيخ محمد منير الدمشقى فى مصر سنة ١٣٤٢ ـ ١٣٤٤ . ونَفِدَتِ الطبعتان فعزَّ وجودُهما .

ولكن الشيخ منير الدمشقى : لم يُعنَ بتصحيحه العنايةَ الواجبة لمثل هذا الكتاب ، فكانت الأغلاط فيه كثيرة ، ولعل عذره أنه اعتمد مطبوعة الهند وحدها ، فلم يتجشَّم مشقَّةَ الرجوع إلى أصول مخطوطة منه جيدة .

ثم إنه رحمه الله زاد[1] فى أواخر الأبواب أحاديث تناسب كل باب ، « مما

---

(١) أو على الاصح : زيد له . فإنه لم يكن بسبيل هذا ، وإنما كان ـ إنصافا للتاريخ ـ طابعا وناشرا ، وتاجرا فحسب . وكان يستأجر بعض طلبة العلم . ويأبى أن يضع أسماءهم ، ليوهم أنه المعلق والمصحح والمؤلف . وقد أفضى إلى ربه . والله حسيبه . وكتبه محمد حامد الفقى .

انفرد به البخارى فقط ، أو مسلم فقط ، أو غيرهما مما صح سنده ومتنه » كما هو نص قوله فى مقدمة طبعته .

وهذه الزيادات لم يكن الكتابُ بحاجةٍ إليها ، لأن مقصد المؤلف واضح : « اختصار جملة من أحاديث الأحكام ، مما اتفق عليه الشيخان » . فلم تكن هذه الزيادات من شرط الكتاب ، ولم تكن استيعاباً لجميع أحاديث الأحكام . فخرج الكتاب عن أن يكون اختصاراً ، ولم يَصِلْ إلى أن يكون استيعاباً ، ولاقَارَبَ ذلك. والاستيعابُ — أومايقار به — موضوعه كتب أخرى وافية واسعة ، كالمنتقى للامام المجد بن تيمية ، الذى طبع بمصر سنة ١٣٥٠ — ١٣٥١ ، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ، والذى شرحه الشوكانى فى « نيل الأوطار » . وكالسنن الكبرى للبيهقى ، المطبوع فى مطبعة حيدر آباد بالهند ، وكالتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ، المطبوع بالهند . وهى كتب معروفة مشهورة فى أيدى الناس .

ولطالما فكرت فى طبعه و إخراجه إخراجاً علمياً ، متقناً محققاً ، على النحو الواجب من التحقيق العلمى فى إخراج كتب السنة وآثار سلفنا الصالح رضى الله عنهم . حتى تهيأت الفرصة المناسبة لذلك والحمد لله .

فقام بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه الأخ الشيخ محمد حامد الفقى . ورغب إلى أن أشركه فى مراجعته على أصوله الصحيحة .

وكان أولَ ما يجب للتحقيق والتصحيح : الرجوعُ إلى أصول مخطوطة من الكتاب ، يمكن الوثوق بها فى إخراجه على أصله ، دون تغيير أو تحريف ، إن شاء الله .

فكان لدىّ فى مكتبتى الخاصة نسختان منه مخطوطتان ، وفى دار الكتب نسخ عدة ، فحصتها كلها ، وتخيرت أصحها وأوثقها . وتفضلت الدار بتصوير صورة شمسية منها لى .

فصارت الأصول المخطوطة بين يدىّ ثلاثة ، أراها كافية — إن شاء الله —

لتحقيق الكتاب وإخراجه إخراجاً صحيحاً على النحو الذى يرضينى ، وعلى مافى الوسع والطاقة .

* * *

وهاهو ذا وصف النسخ الثلاث :

١ ـ نسخة خزائنية مملوكية ، كتبت سنة ٨٤٥ﻫ ، ورسم عنوانها فى لوحة مذهبة مونقة ، ونص العنوان فيها : « كتاب شرح عمدة الأحكام » « للشيخ الإمام العالم العلامة ، إمام المتكلمين ، بقية المجتهدين ، تقى الدين ، تغمده الله برحمته » . وكتب فى ختامها مامثاله : « تم كتاب إحكام الأحكام ، فى شرح أحاديث سيد الأنام ، عليه أفضل والصلاة والسلام ، عند الزوال من نهار الأربعاء المبارك ، ثامن عشرين ، ذى حجة الحرام [كذا] سنة خمس وأربعين وثمانمائة » . وعدد أوراقها ٢٠٢ من القطع المتوسط ، فى كل صفحة ٢٩ سطراً .

٢ ـ نسخة مكتوبة سنة ١١٨٢ ، عنوانها هكذا : « كتاب إحكام الأحكام . فى شرح أحاديث سيد الأنام ، المعروف بالعمدة » وتحته مباشرة بخط آخر : « شرح العمدة،للشيخ الحافظ محمد بن على بن دقيق العيد المالكى الشافعى ، رحمه الله تعالى ، آمين » . وختامها نصه : « تم كتاب إحكام الأحكام . فى شرح أحاديث سيد الأنام ، صلى الله عليه وآله ، وشرف ومجد وعظم . ووافق الفراغ من رقمه عشية الثلاثاء بعد صلاة العشاء ، لعله إحدى عشر يوم [كذا] خلت من شهر القعدة الحرام سنة ١١٨٢ ، بخط كاتبه الفقير على بن سعيد القطاش ، سامحه الله » . وعلى النسخة قراءات وتمليكات ، بعضها مؤرخ ، و بعضها غير مؤرخ .

٣ ـ نسخة دار الكتب المصرية ، (رقم ٢ م حديث) وهى أصحها وأجودها، وأعلاها إتقاناً وثقة . وهى غير مؤرخة ، ولكنها موثقة عن أصلها الذى

ذكر كاتبها أنه نقلها عنه ، كما سنبين . وعلى ظاهرها تمليك فى شهر المحرم سنة ٩٩٧ .

وعنوانها هكذا : « كتاب الإحكام ، فى شرح عمدة الأحكام ، من أحاديث النبي عليه أفضل السلام . تأليف الإمام العالم العامل ، الأوحد الكامل ، القدوة الفاضل ، العابد الخاشع الذاهل ، البارع ، وحيد دهره ، وفريد عصره ، تقى الدين أبى الفتح محمد بن الشيخ الإمام العالم مجد الدين أبى الحسن على بن وهب القُشَيرى ، رضى الله عنه وعن والديه ، وعن كاتبه وعن جميع المسلمين » .

وختمها كاتبها بما نصه بالحرف الواحد :

« شاهدتُ على الأصل المنقول منه مامثاله : وجدتُ على الأصل المنقول مامثاله : قرأت جميع هـذا السفر والذى قبله ، من الـكلام على أحاديث كتاب العمدة ، لسيدنا الشيخ الفقيه ، الإمام الأوحد ، المحدثِ الحافظ ، الحافلِ الضابطِ ، المتقن المحقق ، تقى الدين أبى الفتح محمد بن الشيخ الفقيه الإمام ، العارف العـالم ، مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مُطِيع القُشَيْرى ، وصَلَ الله مدته ، وأبقى على المسلمين بركته ، عليه (١) فى هذه النسخة ، مصحّحاً لألفاظه ، ومتفهماً لبعض معانيه ، فى مجالس ، أولهـا مستهل المحرم سنة سبع وتسعين وستمائة [٦٩٧] ، وآخرها الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمـان وتسعين وستمائة [٦٩٨] . كتبه عبد الله الفقير إليه محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى ، وفقه الله . صحيح ذلك . كتبه محمد بن على . نقله كما شاهده العبد الفقير إلى الله تعالى أبو سعيد أحمد بن أحمد بن أحمد الهـكارى ، غفر الله

(١) قوله « عليه » يريد على الشارح محمد بن على ، يعنى ابن دقيق العيد . وهو متعلق بقوله « قرأت » فى أول الـكلام ، أى أن ابن سيد الناس قرأ هذا الشرح على مؤلفه ، فى النسخة الأصلية المنقول عن المنقول عنها .

له ولطف به والمسلمين . [ومن][1] خطه نقله كما شاهده أفقر عباد الله إلى مغفرته ورحمته عمر بن أحمد بن أبى الفتوح فرج بن أحمد الصفدى ، عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين ، آمين » .

فهذه نسخة موثَّقَــة ، أو كما يقول الناس فى أنسابهم : مُنَسَّبَة . أصلها قَرَأه ابنُ سيّد الناسِ اليَعْمرى الحافظُ على مؤلفها الإمام الحجة ابن دقيق العيد ، وأثبت تاريخ القراءة . ثم صدَّق على ذلك المؤلف نفسه ، فكتب عقب القراءة بخطه : « صحيح ذلك . كتبه محمد بن على » ، وهو توقيعه باسمه واسم أبيه .

ثم نسخ منه الشيخ شهابُ الدين أبو سعيد الهكارى نسخة بخطه ، وأثبت فى آخرها نصَّ ثبت القراءة الذى بخطِّ ابن سيد الناس ، ونصَّ ما كتب الإمام الشارح بصحة هذه القراءة .

ثم جاء الناسخ الأخير ، كاتب هذه النسخة ، ابنُ أبى الفتوح الصفدى ، فنسخ بخطه نسخةً من الكتاب ، نقلها من نسخة الهكارى ، وأثبت فى آخرها نصَّ ما نَقَل الهكارى عن خط ابن سيّد الناس ، ثم نَقَل نصَّ كلام الهكارى ، فى أنه نقل من نسخة ابن سيد الناس ، وأنه « نَقَلَه كما شَاهَده » ، وأثبت أنه هو أيضاً « نَقَلَه كما شاهده » ، من خط الهكارى .

ولذلك ماقال فى أول كلامه : « شاهدتُ على الأصل المنقول ما مثالُه » فهذا هو ابن أبى الفتوح الصفدى يقول ذلك ، والذى شاهده على الأصل المنقول منه هو : « وجدتُ على الأصل المنقول منه ما مثالُه » ، وهذا كلام الهكارى ، ينقلُ ماوَجَدَه على الأصل بخطّ ابن سيّد الناس ، وهو قوله : « قرأتُ جميعَ هذا الكتاب » إلى آخره . فالذى يقول « قرأتُ » هو ابن سيّد الناس .

وابنُ سيد الناس أَرَّخ وقت قراءته الكتاب على مؤلفه الإمام ، وهو من غرة المحرم سنة ٦٩٧ إلى ١٢ ر بيع الآخر سنة ٦٩٨ ، أى ١٥ شهراً و ١٢ يوماً . ونعرف بالضرورة من عادة العلماء أن التاريخ الأخير ، وهو ١٢ ر بيع الثانى سنة ٦٩٨

(١) موضع الزيادة قطع فى الورق .

هو يوم كتابته ثبت القراءة والسماع ، ويوم كتابة تصديق الشيخ المقروء عليه وتوقيعه على ذلك .

ثم قصَّر الناسخان الآخران : المكارى والصفدى ، فلم يؤرخ كل منهما تاريخ انتهائه من كتابة نسخته . ولكنا نستطيع أن نتدارك بعض ذلك التقصير ، بتتبع تراجم من نجد ترجمته من هؤلاء .

١ ـ فأولهم الشارح نفسه ، الإمام ابن دقيق العيد ، وستأتى ترجمته قريباً ، إن شاء الله . ولكنا نذكر هنا أنه وُلد بمدينة ينبع ، فى شعبان سنة ٦٢٥ ، ومات بالقاهرة فِى صفر سنة ٧٠٢ . فقد قُرِئ الكتاب عليه قبل وفاته بنحو ٤ سنوات .

٢ ـ ثم الحافظ الكبير ، ابن سيد الناس . وهو عالم جليل متقن ، من بيتِ علم قديمٍ معروف ، ولو أخذنا بظاهر النسب المكتوب فى ثبت القراءة ، أنه « محمد بن محمد بن أحمد » إلى آخره ، مع حرصه على سَوْقِ نسبه إلى أجداد كثيرين ، لظننَّا أنه الفقيه العالم أبو عَمْرو بن سيد الناس ، وليس ببعيد أن يكونه ، فإنه ولد سنة ٦٤٥ ، فهو أصغر من ابن دقيق العيد بعشرين سنة ، وذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمته فى الدرر الكامنة (٤ : ١٦٢) أنه « قرأ ونَسَخَ » . وأنه « ولِىَ مشيخة الكاملية بعد ابن دقيق العيد » ، وأنه « مات فى جمادى الأولى سنة ٧٠٥ » ، ويكون قد قرأ الكتاب على المؤلف بعد أن جاوز من العمر ٥٢ سنة . وكان العلماء قديماً يحرصون على القراءة على الشيوخ الكبار ، وعلى الأخذ عنهم والإفادة منهم ، طوال حياتهم ، فى شبابهم وكهولتهم . ولكن الأقرب عندى والظاهر : أنه ابنه الحافظ العلامة الأديب المشهور ، والمؤلف العظيم : أبو الفتح فتح الدين « محمد بن محمد بن محمد بن أحمد » ، فإنه تلميذ ابن دقيق العيد ، عرف بذلك ، فقال ابن حجر فى ترجمته فى الدرر الكامنة (٤ : ٢٠٩) : « ولازم ابن دقيق العيد ، وتخرَّج عليه فى أصول الفقه ،

وأعاد عنده ، وكان يحبّه ويؤثره ، ويسمع كلامه ، ويثنى عليه » . فهذا أقربُ أن يكون قارىءَ النسخة على المؤلف ، خصوصاً مع الأوصاف الغالية الغالية التى أسبغها عليه فِى ثبت القراءة ، وليس ببعيد أن يكون هو اختصر قليلا فى نسبه « محمد بن محمد بن أحمد » ، بدل « محمد بن محمد بن محمد بن أحمد » ، أو يكون الاختصار ، بحذف أحد المحمدين الثلاثة من النسب ، وقع سهواً من الهكارى ناقل الثبت من خطّ ابن سيد الناس ، أو من الصفدى الناقل من خط الهكارى .

والحافظ أبو الفتح بن سيد الناس هو مؤلف السيرة النبوية العظيمة ، التى سماها « عيون الأثر » ، وهى مطبوعة بمصر سنة ١٣٥٦ فى مجلدين .

ولد بمصر فى ذى القعدة سنة ٦٧١ ، ومات بها فجأة فى ١١ شعبان سنة ٧٣٤ . وترجمته فخمة حافلة ، من مصادرها : تذكرة الحفاظ للذهبى (٤ : ٢٨٥) ، وذيلها للحسينى (ص ١٦) ، وذيلها للسيوطى (ص ٣٥٠) ، وتاريخ ابن كثير (١٤ : ١٦٩) ، وطبقات الشافعية لابن السبكى (٦ : ٢٩) ، والدرر الكامنة لابن حجر (٤ : ٢٠٨) ، وحسن المحاضرة للسيوطى (١ : ٢٠٢) ، وشذرات الذهب (٦ : ١٠٨) . ويلاحظ أنه وقع خطأ فى تاريخ مولده ، فى تذكرة الحفاظ ، جعل سنة ٧٠١ بدل سنة ٦٧١ .

٣ — ثم الشيخ شهاب الدين الهكارى ، الذى نقل بخطه نسخة من الأصل الذى قرأه ابن سيد الناس . وهذا الهكارى ، هو : أبو سعيد شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الحسين الكردى الهكارى ، وهو عالم ابن عالم ، وناسخٌ متقنٌ ، ابن ناسخ متقن ، قال الحافظ ابن حجر فى ترجمته فى الدرر الكامنة (١ : ٩٨) : « كتب بخطه الحسن المتقن شيئاً كثيراً ، وكان عارفاً بالرجال » . مات فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٦٣ .

وقال فى ترجمة أبيه (١ : ٩٩) : « ولى مشيخة الحديث بالمنصورية ، وكتب الكثير بخطه المليح المتقن » . ومات فى جمادى الأولى سنة ٧٥٠ .

٤ ـ ثم الناسخ الأخير ، الناقل من نسخة الهكارى ، والذى بين يدينا خطه ، وهو : عمر بن أحمد بن أبى الفتوح فرج بن أحمد الصفدى فهذا الذى أعجزنى أن أجد له ترجمة فيما بين يدىَّ من المراجع ، بعد طول البحث والتتبع . ولكنى أستطيع ، بما خبرتُ من خطوط العلماء وغيرهم ، وبما فقهتُ من إتقان المتقن المتوثق ، وإهمال المهمل المتسرّع ، أن أجزم بأنه كان من أهل العلم الفقهين المتثبتين ، الذين يحسنون ما يكتبون ، ويفقهون ما يقرؤون .

وقد عنى بضبط الكتاب بالشكل الذى يكاد يكون كاملا ، فإن أكثر حروف الكلمات فى الكتاب كله مضبوطة ، مع إتقان الحروف ووضوحها حرفاً حرفاً ، وإثبات نقط الحروف المنقوطة إثباتاً كاملا ، لم يدع حرفاً معجماً يشتبه بحرف مهمل . ثم قابل الكتاب كله على أصله الذى نقل منه الذى كان بخط الهكارى ، وكتب بجوار آخر سطر منه : « بلغ مقابلة بأصله ، والحمد لله » .

والتمليك المكتوب بظاهر النسخة ، المؤرخ فى شهر المحرم سنة ٩٩٧ ، يدلنا بالضرورة على أنها منسوخة قبل هذا التاريخ ، ولكن إلى أى مدى تنتهى أقدميتها ؟ أ كان هذا الصفدى مقارباً لعصر الهكارى المتوفى سنة ٧٦٣ ، أم بعده بدهر طال أو قَصُر ؟ لا ندرى .

وأيًّا مَّا كان ، فهذه النسخة هى العمدة عندنا فى تصحيح الكتاب ، وهى الحجة ، وهى الأصل ، بما لمسنا فيها من مزايا الإتقان والتوثق ، وبأنها ترجع فى أسانيد نسخها إلى الشارح الإمام نفسه .

خطتنا فى تحقيق هذا الكتاب

دَأَبَ المستشرقون، بما جهلوا من لغة العرب ، وبما ضَعُفَتْ خبرتهم بالكُتُب، على جمع أكثر ما يستطيعون جمعه من المخطوطات من الكتاب الذى يريدون إخراجه ، ثم يُخرج أحدُهم الكتابَ ، كيفما واتته خبرتُه ، وأسعفه علمُه . فيثبت النصَّ على الوجه الذى يفهمه ، ويستقصى فى الهوامش اختلافَ النسخ

التى بين يديه ، خطأً كان نصُّها أم صواباً . بل لقد رأيتُ منهم مَنْ جانبه التوفيقُ فى كثير من أحيانه ، فيثبتُ الخطأَ فى صلب الكتاب ، والصوابَ فى إحدى النسخ بالهامش . ومن الإنصاف : أن أذكر أن بعضهم ، وهم قِلّةٌ منهم ، يُحْسِنُ إخراجَ الكتب على ماينبغى لها من الإتقان .

وقد قلدهم فى الاستكثار من جمع المخطوطات فى الكتاب المراد إخراجه ، كثيرٌ ممن سبقونا إلى هذا المجال ، وقلدناهم فى قليل مما أخرجنا من الكتب .

ثم خَارَ اللهُ لنا ووفَّقنا إلى طريق الصواب ، بفضله ومنّه ، سبحانه وتعالى ، فسلكنا الطريقَ القويم ، طريق أئمتنا ، أئمةِ الحديث : اختيارَ أصحِّ النسخ وأوثقها ، ثم النصَّ على مايخالفها فى المواضع المهمة التى يُخْشى فيها اللَّبْسُ على القارىء ، والإعراضَ عن الخطأ البيّن الذى لاشكٌّ فيه ، وعن الخلاف بين النسخ فيما لاطائل تحته . والحمد لله على التوفيق .

وهذا هو الذى نسير عليه فى هذا الكتاب — إن شاء الله ذلك ويَسَّره — فنجعلُ مخطوطة دار الكتب ، التى وصفنا فأسهَبْنا فى وصفها ، هى الأصلَ الذى نثبت نصَّه ، لانعدلُ عنها إلى غيرها ، إلاّ فيما لا مندوحة عنه من خطأ واضح ، وهو شىء نادر والحمد لله . ولا نثبتُ مخالفةَ النسخ الأخرى لهذا الأصل ، إلاّ عند الضرورة القصوى ، التى تُقَدَّر فى كل موضع بقدرها .

وإنما جعلنا مخطوطةَ دار الكتب أصلاً للتحقيق وإثباتِ نص الكتاب ، لمعنى آخر دقيق ، فوق ما ذكرنا من مزاياها ، وهو : أن هذا الشرح أملاه شارحه الإمامُ ابن دقيق العيد على القاضى الوزير ، عماد الدين بن الأثير ، فالظاهر من هذا الصنيع أن يكون للمستملى شىء من التصرف فى التعبير حين الكتابة عن الإمام المُمْلِي . فقد يكون إذن فى النسخ المأخوذة عن القاضى عماد الدين شىء من عباراته هو ، لا من عبارات الإمام المأخوذ عنه الكتاب .

ويكون الكتابُ كتابَه فى الأكثر الأغلب . ولا بأس بذلك ، فمثل هذا كثير فى الكتب .

ولذلك نجد فى النسخ المأخوذة عن القاضى الوزير ، ابن الأثير ، خطبته التى حكى فيها حكاية أخذه الشرح عن ابن دقيق العيد ، واستملائه إياه منه .

أما وقد وجدنا أصلا آخر ، قرئ على المؤلف الأصلى ، الذى أملى الكتاب ، والذى هو من تأليفه حقًّا ، فلا مندوحة لنا من اعتماده أولًا ، على أنه الأصل الأصيل للكتاب ، واعتبار نسخة ابن الأثير فرعاً ، أو رواية أخرى ، قد يتصرف فيها راويها ، بما كان من حقه فى استملاء الكتاب من مؤلفه .

خصوصاً وأن الحافظ ابن سيد الناس قرأ الكتاب على الإمام المؤلف الأصلى ابن دقيق العيد ، فى حياة الوزير ابن الأثير ، إذ انتهى من قراءته عليه سنة (٦٩٨) . والقاضى ابن الأثير فقد فى إحدى الواقعات الحربية سنة (٦٩٩) ، كما عرفنا من ترجمته .

فقد عُرف الكتاب إذن أنه كتاب ابن دقيق العيد ، فى حياة مستمليه ابن الأثير ، وقُرئ عليه . وما يدرينا لعل المؤلف أملاه على ابن الأثير فى مجلس عام من مجالس العلم التى كانت معروفة مشهورة إذ ذاك . فلم يستأثر به ابن الأثير ، ولم يكن له فيه صفة ، إلا صفة الناقل الراوى . ولو لم يذكر هو فى خطبة نسخته ـ أو روايته ـ قصة استملائه إياه من ابن دقيق العيد ، لم يكن له فيه ذِكْرٌ ولا أثر .

فالأصل المقروء على الإمام المؤلف المملى آصل فى صحة الكتاب ونسبته وأعلى . ولذلك خلا من خطبة ابن الأثير ، إذ لم يكن له بها شأن .

وقد وافقنى على هذا الرأى الأخ الشيخ محمد حامد الفقى ، ورضى هذه الخطة فى إخراجه ونشره . والحمد لله رب العالمين ؟

عن القاهرة

ليلة الأحد { ١١ رمضان سنة ١٣٧٢
{ ٢٤ مايو سنة ١٩٥٣

احمد محمد شاكر
عفا الله عنه
بمنه

ترجمة ابن دقيق العيد

محمد بن على بن وهب بن مطيع ، بن أبى الطاعة القشيرى . أبو الفتح تقى الدين ذاتا ونعتا ، والسالك الطريق التى لاعوج فيها ولا أمتا ، والمحرز من صفات الفضل فنونا مختلفة ، وأنواعا شتى ، والمتحلى بالحالتين والحسنيين صمتا وسمتا ، الشيخ الإمام ، علامة العلماء الأعلام ، وراوية فنون الجاهلية وعلوم الإسلام ، ذو العلوم الشرعية ، والفضائل العقلية ، والفنون الأدبية ، والمعارف الصوفية ، والباع الواسع فى استنباط المسائل ، والأجوبة الشافية لـكل سائل ، والاعتراضات الصحيحة التى يجعلها الباحث لتقرير المشكلات وسائل ، والخطب الصادعة الفصيحة البليغة التى تستفاد منها الوسائل ، إن عرضت الشبهات أذهب جوهر ذهنه ماعرض ، أو اعترضت المشكلات أصاب شاكلتها بسهم فهمه فأصاب الغرض ، أو خطب أسهب فى البلاغة ، وأطنب فى البراعة ، أو كتب فوحى الـكلام يتنزل على يَراعه ، فلله دره إذ ارتفع بنفسه وإن كان له من أبويه مايقتضى الارتفاع ، وعلا على أبناء جنسه ، فـكان من رفعة المنزلة فى المـكان اليفاع ، إن ذُكر التفسير فمحمد فيه محمودالمذهب ، [أو الحديث فالقشيرى فيه صاحب الرقم المعلم والطراز المذهب] ، أو الفقه فأبو الفتح العزيز الإمام الذى إليه الاجتهاد ينسب ، أو الأصول فأين ابن الخطيب من الخطيب ، وهل يقرن المخطىء بالمصيب ؟ أو الآداب فإن اقتصرت قلت نابغة زمانه ، وإن اختصرت قلت ابن حبيب ، لم يشغله عن النظر فى العلوم كثرة المناصب ، ولا ألهـاه علو المراتب ، ولا صرفه عن التصرف فيه لذة المطاعم وعذوبة المشارب ، طالما لازم السهر حتى أسفر وجه الإصباح ، مشتغلا بالذكر والفـكر ، لايذوات الألفاظ الفصاح والوجوه الصباح :

وتبدى له الدنيا من الحسن جملة   يهيم بها النساك لو شاهدوا البعضا

فيعرض عنها لاهياً عن جمالها ويوسعها بعدا ، ويرفضها رفضا
ويسهر فى ذكر وفكر وفى علاً ومن بات صباً بالعلا جانب الغمضا

تمسك من التقوى بالسبب الأقوى ، وقام بوظيفة التحقيق والتدقيق ، التى لايطيقها غيره من أهل زمنه ولاعليها يقوى ، مع ترك المباهاة بما لديه من الفضائل والسلامة من الدعوى ، وجعل وظيفة العلم والعمل له ملة ، حتى قال بعض الفضلاء من مائة سنة : ما رأى الناس مثله ، حاز علما ودينا ونزاهة ، فعظم قدرا وجاها ووجاهة ، ومن غرس العلم والتقوى اجتنى النباهة ، ذاك الذى حاز كل فضل جزيل ، وحوى كل فعل جميل ، والذى يقال فيه إن الزمان بمثله لبخيل .

وبالجملة ، فالاستغراق فى مناقبه يخرج عن الإمكان ، ويحوج إلى توالى الأزمان ، وكتب له « بقية المجتهدين » وقرىء بين يديه ، فأقر عليه ، ولا شك أنه من أهل الاجتهاد ، وماينازع فى ذلك إلا من هو من أهل العناد ، ومن تأمل كلامه علم أنه أكثر تحقيقا وأمتن ، وأعلم من بعض المجتهدين فيما تقدم وأتقن .

حكى لنا صاحبنا الفقيه الفاضل العدل علم الدين (أحمد) الاسفونى قال : ذكره شيخنا العلامة علاء الدين على بن إسماعيل القونوى (١) . فقلت له : لكنه ادعى الاجتهاد . فسكت ساعة مفكرا ، وقال : « والله ماهو ببعيد » .

وقد ترجمه الشيخ الإمام العالم الأديب المحدث الكامل فتح الدين محمد اليعمرى . فقال : لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجلّ منه فيما رأيت ورويت ، وكان للعلوم جامعا ، وفى فنونها بارعا ، مقدما فى معرفة علل الحديث على أقرانه ، منفردا بهذا الفن النفيس فى زمانه ، بصيراً بذلك ، سديد النظر فى تلك المسالك ، بأذكى ألمعية ، وأزكى لوذعية ، لايشق له غبار ، ولا يجرى معه سواه فى مضمار .

---

(١) فى ا : على ابن أحمد الترتونى .

إذا قال لم يترك مقالا لقائل   مصيب ولم يثن اللسان على هجر

قال : وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من السنة والكتاب ، بلُبّ يسحر الألباب ، وفكر يفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب ، مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم : مستبينا ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم ، مبرزا فى العلوم النقلية والعقلية ، والمسالك الأثرية والمدارك النظرية .

وكان من العلوم بحيث يقضى له من كل علم بالجميع .

قال : وسمع بمصر والشام والحجاز ، على تحرٍّ فى ذلك واحتراز . ولم يزل حافظا للسانه ، مقبلا على شأنه ، وقف نفسه على العلوم وقصرها ، ولو شاء العادُّ أن يعدَّ كلماته لحصرها ، ومع ذلك فله بالتجريد تخلق ، وبكرامات الصالحين تحقق ، وله مع ذلك فى الأدب باع واسع ، وكرم طباع ، لم يخل فى بعضها من حسن انطباع ، حتى لقد كان محمود الكاتب ، المحمود فى تلك المذاهب ، المشهود له بالتقدم فيما يشاء من الإنشاء على أهل المشارق والمغارب ، يقول : لم تر عينى آدب منه . انتهى ماذكره الشيخ فتح الدين .

وأنا أشير إلى شيء من حاله :

ولد الشيخ تقى الدين ، ووالده متوجه إلى الحجاز الشريف فى البحر المالح فى يوم السبت خامس عشرى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل الينبع رأيته بخطه النبجى .

ثم إن والده ذكر — على ماأخبرنى عنه بعض طلبته بقوص — أنه أخذه على يده ، وطاف به ودعا اه أن يجعله الله عالما عاملا . وقال الشيخ بهاء الدين القفطى : لما سمعنا على الشيخ مجد الدين الحديث سمعته يقول بقوله ، وأنا دعوت به . فاستجيب لى . قال : فقال شيخنا : وأنا دعوت به فاستجيب لى . فسألناه : ما الذى دعوت به ؟ فقال : دعوت الله تعالى أن ينشىء ولدى محمداً عالما عاملا ، فنشأ الشيخ بقوص على حالة واحدة من الصمت والاشتغال بالعلوم ، ولزوم

الصيانة والديانة ، والتحرز فى أقواله وأفعاله ، والبعد عن النجاسة ، متشدداً فى ذلك ، حتى حكت زوجة أبيه ـ أم أخيه الشيخ تاج الدين بنت البيقاش ـ قالت : بنى علىّ والده ، والشيخ تقى الدين ابن عشر سنين ، فرأيته ومعه هاون ، وهو يغسله مرات زمنا طويلا ، فقلت لأبيه : ماهذا الصغير يفعل ؟ فقال له : يا محمد ، أى شىء تعمل ؟ فقال : أريد أن أركب حبرًا وأنا أغسل هذا الهاون . ووالدته بنت الشيخ المقترح ، فأصلاه كريمان ، وأبواه عظيمان .

وابتدأ بقراءة كتاب الله العظيم ، حتى حصل منه على حظ جسيم .

ثم رحل فى طلب الحديث إلى دمشق والإسكندرية وغيرهما . فسمع الحديث من والده ، والشيخ بهاء الدين أبى الحسن بن هبة الله بن سلامة الشافعى ، والحافظ عبد العظيم المنذرى ، وأبى الحسن محمد بن الأنجب أبى عبد الله بن عبد الرحمن الصوفى البغدادى البغال ، والحافظ أبى على الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد التيمى [البكرى ، وأبى العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى] ، وأبى الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقى ، وأبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسى ، وقاضى القضاة أبى الفضل يحيى بن قاضى القضاة أبى المعالى محمد بن على بن محمد القرشى ، وأبى المعالى أحمد بن عبد السلام بن المطهر ، وأبى الحسن عبداللطيف بن إسماعيل ، والحافظ أبى الحسن يحيى العطار ، والنجيب أبى الفرج ، وأخيه العز ، الحرانيين ، وخلائق يطول ذكرهم .

وحدث بقوص ومصر [وغيرهما] .

سمع منه الخلق الكثير ، والجم الغفير ، مع قلة تحديثه . فمن سمع منه : قاضى القضاة شمس الدين [محمد بن أبى القاسم بن عبدالسلام بن جميل التونسى ، وقاضى القضاة] شمس الدين محمد بن أحمد بن حيدرة ، وقاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان . وشيخنا قاضى القضاة شيخ الشيوخ علاء الدين على بن إسماعيل القونوى . وشيخنا أثيرالدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطى ، والشيخ فخرالدين

عثمان المعروف بابن بنت أبى سعيد ، وشيخنا تاج الدين محمد بن الدشناوى ، والشيخ فتح الدين محمد بن محمد اليعمرى ، وشرف الدين محمد بن القاسم الإخميمى ، والشيخ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبى ، وجمع يطول تعدادهم .

أخبرنا شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطى ، حدثنا الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحد المتقن مفتى الفرقتين الحافظ الناقد تقى الدين أبو الفتح محمد بن الشيخ الفقيه الإمام العالم الورع الزاهد مجد الدين أبى الحسن على ابن أبى العطايا وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى رضى الله عنهم ، يوم الأحد [المبارك] ثانى شهر رمضان المعظم من سنة ست وثمانين وستمائة ، بمنزله من دار الحديث الكاملية بالمعزّية ـ إملاء من لفظه ـ قال : قرأت على الإمام المفتى أبى الحسن على بن أبى الفضائل هبة الله بن سلامة الشافعى اللخمى بمصر ، عن الإمام الحافظ أبى الطاهر السلفى ـ قراءة عليه ـ بالإسكندرية ،أخبرنا الشيخ الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى بإصبهان ، حدثنا أبو الفتح هلال بن جعفر بن سعدان ـ قراءة عليه ببغداد ـ حدثنا أبو عبدالله الحسن بن يحيى بن عباس القطان، حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلى ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن سليمان ، عن عبد الله بن سَرْجَس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سافر : « اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، ومن الحوْر بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى الأهل والمال » . قيل لعاصم : «ما الحوْر بعد الكوْر ؟ » قال: حار بعد كار(١) . قال شيخنا أثير الدين : قال لنا الشيخ تقى الدين : هذا حديث صحيح ثابت من حديث عاصم الأحول ، أخرجه مسلم من حديث جماعة عنه ، وفيه نوعان من أنواع العلوّ ، أحدهما : العلوّ إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فإنه أعلى مايقع لنا بالأسانيد الجيدة . الثانى : العلو إلى إمام من أئمة الحديث ، وهو حماد بن زيد .

(١) الحور : الرجوع . والكور : تكوير العمامة ولفها .أى من النقص بعد الزيادة

وبهذا الإسناد إلى الثقفى قال : حدثنا على بن محمد بن عبد اللهبن بشران حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا سعدان بن نصر بن منصور حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : « لما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم (٦ : ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال : أعوذ بوجهك (أو من تحت أرجلكم) قال : أعوذ بوجهك (أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض) . قال : هاتان أهون وأيسر » .

قال شيخنا أثير الدين [أبو حيان] قال لنا الشيخ : هذا حديث ثابت صحيح من حديث سفيان بن عيينة ، وفيه النوعان المتقدمان من العلو ، مع كونه بدلاً ، فإن البخارى أخرجه عن على بن المدينى عن سفيان . وفيه نوع زائد من العلو ، وهو المسمى بعلو التنزيل ، فإن الثقفى كأنه سمعه من صاحب البخارى .

و به إلى الثقفى : حدثنا أبو عمرو محمد بن محمد بن بالويه الصائغ ـ قراءة عليه بنيسابور ـ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأموى حدثنا العباس بن محمد الدُّورى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمارة بن غَزِية عن نعيم بن عبد الله عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء ، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله » صحيح متفق عليه من حديث نعيم المجمر ، وهو من حديث عمارة ، انفرد به مسلم .

اشتغل الشيخ تقى الدين بالفقه على مذهب الإمامين مالك والشافعى ، على والده [واشتغل بمذهب الشافعى أيضاً على تلميذ والده] الشيخ بهاء الدين هبة الله القِفطى أولا ، وكان يقول : البهاء معلمى . ثم رحل إلى القاهرة ، فقرأ على شيخ الإسلام أبى محمد بن عبدالسلام . وقرأ الأصول على والده ، وحضر عند القاضى شمس الدين محمود الأصبهانى لما كان حاكما بقوص ، هو وجماعة ، وكان بعضهم يقرأ والشيخ يسمع . وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبى الفضل

المرسى وغيره ، وقرأ غير ذلك . وصـنف وأملى ، ولو لم يكن له إلا ما أملاه على العمدة[١] لـكان عمدة فى الشهادة بفضله ، والحـكم بعلو منزلته فى العلم ونبله ، فـكيف بشرح الإلمام ، وما تضمن من الأحكام ، وما اشتمل عليه من الفوائد النقلية ، والقواعد العقلية ، والأنواع الأدبية ، والنـكت الخلافية ، والمباحث المنطقية ، واللطائف البيانيـة ، والمواد اللغوية ، والأبحاث النحوية ، والعـلوم الحديثية ، والملح التاريخية ، والإشارات الصوفية .

وأما كتابه المسمى بـ «الإلمام[٢]، الجامع أحاديث الأحكام» فلو كملت نسخته فى الوجود ، لأغنت عن كل مصـنف فى ذلك موجود . قال لى أقضى القضـاة شمس الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة الشهير بابن القماح : سمعت الشيخ يقول : أنا جازم أنه ما وضع فى هذا الفن مثله ، ووافق عل ذلك الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلى ، فيما أخبرنى به بعض من سمعه منه من الثقات الأثبات . وقال لى قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى : سمعت الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول : هو كتاب الإسلام . وقال لى الشيخ فخر الدين النويرى : سمعته يقول : ما عمل أحد مثله ، ولا الحافظ الضياء ، ولا جدى أبو البركات . وكذلك قال لى صاحبنا العدل الفاضل جمال الدين الزولى : إن ابن تيمية قال له ذلك .

وكان كتابه « الإلمام » حاز مع صغر حجمه من هذا الفن جملة من علمه . وله كتاب « اقتناص السوانح » أتى فيه بأشياء غريبة ، ومباحث عجيبة ، وفوائد كثيرة ، وموائد غزيرة . وله إملاء على مقدمة كتاب عبد الحق . وشرح مقدمة المطرزى فى أصول الفقة . وله تصنيف فى أصول الدين . وشرح على التبريزى فى الفقه . وكتابه فى علوم الحديث المسمى بـ «الاقتراح فى معرفة الاصطلاح» مفيد . وله خطب وتعاليق كثيرة .

وأخبرنى قاضى القضاة نجم الدين أحمد القمولى : أنه أعطاه دراهم ، وأمره أن

---

(١) هو هذا الـكتاب الذى تقدم هذه الترجمة بين يديه . (٢) لعله «الإمام»

يشترى بها ورقا ويجلده أبيض . قال : فاشتريت خمسة وعشرون كراسا وجلدتها ، وأحضرتها إليه ، وصنف تصنيفا ، وقال : إنه لا يظهره فى حياته .

وكان كريما جوادا سخيا . أخبرنا شيخنا العلامة علاء الدين القونوى رحمه الله تعالى : أنه كان يعطيه فى كثير من الأوقات الدراهم والذهب .

وحكى الشيخ نجم الدين محمد بن عقيل البالسى : أنه قدم فى الجفل ، فحضر عنده وتكلم ، فأرسل إليه مائتى درهم ، ثم ولاه النيابة بمصر .

وحكى صاحبنا محمد بن الحواسيبى [الفرضى] القوصى ـ وكان من طلبة الحديث وأقام بالقاهرة مدة فى زمن الشيخ ـ قال : كان الشيخ يعطينى فى كل وقت شيئا ، فأصبحت يوما مفلساً ، [فكتبت ورقة وأرسلتها إليه ، فيها : المملوك محمد القوصى أصبح مضرورًا . فكتب لى بشىء ، ثم ثانى يوم] كتبت : المملوك ابن الحواسيبى ، فكتب لى بشىء ، ثم ثالث يوم كتبت : المملوك محمد ، فطلبنى وقال لى : من هو ابن الحواسيبى ؟ فقلت : المملوك ، قال : ومن هو القوصى ؟ قلت : المملوك ، قال : تدلس على تدليس المحدثين ؟ قلت : الضرورة ! فتبسم وكتب لى .

وسمعت كلا من الشيخين العالمين شمس الدين محمد بن عدلان وشمس الدين محمد بن القماح [يقولان : سمعناه] يقول : « ضابط ما يطلب منى : أن يجوز شرعا ثم لا أبخل » .

وكان الشيخ يسهر بالليل ، حكى لى الشيخ ضياء الدين منتصر قال : حكى لى القاضى معين الدين أحمد بن نوح قاضى أسوان وإدفو ـ وكان ثقة ، قال : قرأ الشيخ ليلة ، فاستمعت له ، فقرأ إلى قوله (٢٣ : ١٠١ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ، فما زال يكررها إلى مطلع الشمس .

وحكى لى الشيخ زين الدين عمر الدمشقى المعروف بابن الكتانى رحمه الله تعالى ، قال : دخلت عليه بكرة يوم ، فناولنى مجلدة وقال : هذه طالعتها فى هذه الليلة التى مضت .

وكان له قدرة على المطالعة : رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جملة كتب ، من جملتها « عيون الأدلة » لابن القصار فى نحو من ثلاثين مجلدة ، وعليها علامات له ، وكذلك رأيت كتب المدرسة السابقية ، رأيت على السنن الكبير للبيهقى فيها من كل مجلدة علامة ، وفيها تاريخ الخطيب كذلك ، و « معجم الطبراني » الكبير ، و « البسيط » للواحدى ، وغير ذلك .

وأخبرنى شيخنا الفقيه سراج الدين الدندراوى : أنه لما ظهر الشرح الكبير للرافعى اشتراه بألف درهم ، وصار يصلى الفرائض فقط ، واشتغل بالمطالعة إلى أن أنهاه مطالعة ، وذكر عنده هو والغزالى فى الفقه فقال : الرافعى فى السماء .

ويقال : إنه طالع كتب الفاضلية عن آخرها ، وقال : ماخرجت من باب من أبواب الفقه واحتجت أن أعود إليه .

وفى تصانيفه من الفروع الغريبة ، والوجوه والأقاويل ماليس فى كثير من المبسوطات ، ولا يعرفه كثير من النقلة .

ونقلت مرة لقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى رواية عن أحمد ، فقال : هذه ماتكاد تعرف فى مذهبنا ، ولا رأيتها إلا فى كتاب سماه . قلت : رأيتها فى كلام الشيخ .

وأما نقده وتدقيقه : فلا يوازى فيه . جرى [ذكر] ذلك مرة عند الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وكان لايحبه ، وكان يتكلم فى شيء يتعلق به ، ويذكر أنه ليس كثير النقل ، فشرعت أذكر له شيئا إلى آخر الكلام ، ذكرت بحثا له ، فقال : لا ياسيدى ، أما إذا نقد وحرر فلا يوفيه أحد .

وسألت شيخنا علاء الدين على بن محمد بن خطاب الباجى رحمه الله تعالى مرة عن جمع كثير ، منهم : الأصبهانى ، والقرافى ، وابن رزين ، وابن بنت الأعز ، ووالده تاج الدين ؟ [فكان] يذكر كل شخص ، إلى أن ذكرت له الشيخ تقى الدين ، فقال : كان عالما ، أو قال: كان فاضلا ، صحيح الذهن ، وقال:

حكى لى القاضى زين الدين إسماعيل قاضى قوص قال : جاء مرة إلى مصر ، ثم قصد القاهرة ، فقال: أمع أحد منكم وسيط ؟ فناوله شخص مجلدة ، فنظر صفحة ، ثم سقنا معه الدرس ، فألقى تلك الصفحة بالمعنى ، وسمعنا على شيخنا أثير الدين أبى حيان أبقاه الله تعالى فى خير : جزءا أملاه عليه من لفظه ، فيه عدة أحاديث رواها بالأسناد ، وفيه أشعار وأشياء ، وقال: هو أشبه من رأيناه يميل إلى الاجتهاد . ورأيت له بخزانة الجامع بقوص : عدة مجالس أملاها وقد حلاها بجواهر الفوائد ، وجلاها للمتقطى الفرائد . وقال صاحبنا شمس الدين على بن محمد الفوى : إنه كان يملى عليه شرح الإمام من لفظه ، وهو الذى كتبه عنه . وكذلك حكى لنا أقضى القضاة شمس الدين محمد بن القماح ، قال : جلسنا عنده غير مرة وهو يملى شرح الإلمام من لفظه .

وكان عزيز النفس . لما وصل الشيخ شرف الدين المرسى إلى قوص قرأوا عليه شيئا من النحو ، فسألهم عن سؤال ؟ فسكتوا ، فقال : أرانى أتكلم مع حمير ! فلم يعد الشيخ تقى الدين إليه بعدها . وأخبرونى بقوص أنه لعب الشطرنج فى صباه مع زوج أخته الشيخ تقى الدين بن الشيخ ضياء الدين ، فأذنوا بالعشاء ، فقاما فصليا ، ثم قال الشيخ : نعود ؟ فقال صهره : إن عادت العقرب عدنا لها ، فلم يعد يلعبها .

وأخبرنى الشيخ عماد الدين محمد بن حرمى الدمياطى : أنه رأى الأمير الجوكندار أتى إليه ، فتحرك له تحريكة لطيفة ، وسكت ساعة ، ثم مال إليه وقال : لعل للأمير حاجة .

وحكى الشيخ شمس الدين بن عدلان : أنه كان عنده وهو متكىء ، فحضر الكمالى أمير حاجب برسالة ، فكشف [عن] وجهه ، فسمعها ، وقال له : هذا ماينعمل ، فوقف الحاجب زمانا ، ثم قال : ياسيدى : ما الجواب ؟ فقال : عجبا ! ماسمعت الجواب ؟! وغطى وجهه .

ولما عزل نفسه ، ثم طلب ليولى ، قام السلطان الملك المنصور لاجين له واقفًا لما أقبل ، فصار يمشى قليلا قليلا ، وهم يقولون له : السلطان واقف ، فيقول: أدينى أمشى ، وجلس معه على الجوخ حتى لايجلس دونه ، ثم نزل فغسل ماعليه واغتسل ، وقبل السلطان يده ، فقال : تنتفع بهذا ، حكاه جماعة ، منهم : الشيخ شمس الدين عدلان عمن حضر المجلس ، والقاضى مجد الدين بن الخشاب .

ومع ذلك فكان خفيف الروح ، لطيفا ، على نسك وورع ، ودين متبع ، ينشد الشعر والموشح والزجل والبليق والمواليا . وكان يستحسن ذلك .

حكى لى صاحبنا فتح الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن عيسى القليوبى ، قال : دخلت عليه مرة ، وفى يده ورقة ينظر فيها زمانا ، ثم ناولنى الورقة وقال : ا كتب من هذه نسخة ، فأخذتها فوجدت فيها بليقة أولها :

كيف أقدر أتوب ورأس إبرى مثقوب ؟

وقال شيخنا تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوى : سمعته ينشد هذه البليقة التى أولها :

جلد العميرة بالزجاج ولا الزواج

ويقول : بالزجاج ، يافقيه !!

وحكى لى صاحبنا الفاضل الأديب الثقة مجير الدين عمر بن اللمطى قال : كنت مرة بمصر [فى حاجة] ، وطلعت إلى القاهرة ، فقالوا : الشيخ طلبك مرّات ، فجئت إليه ، فقال : أين كنت ؟ قلت : بمصر فى حاجة ، فقال طلبتك : سمعت إنسانا ينشد خارج الكاملية :

بكيت ، قالوا : عاشق سكت ، قالوا : قد سلا
صليت ، قالوا : زَوْكر ما أكثر فضول الناس

فأعجبنى .

وحكى أيضا قال : كنا نتحدث عنده بالليل ، وكنا نسمع بمغنية يقال لها :

جارية النطاع ، وأنها تغنى غناء فى غاية الحسن ، فكنا نشتهى أن نسمعها ، فجاءنا شخص مرة ، وقال : هى تغنى فى المكان الفلانى ، احضروا فى أول الليل ، فصلينا مع الشيخ ، وقمنا وتوجهنا إلى المكان سمعناها ، ثم جئنا وصرنا ندخل قليلا قليلا حتى لايشعر بنا ، فيعرف الخبر وينكر علينا ، فعرف بنا ، فقال: ما بالكم ؟ أخبرونى ، فأخبرته أنا الخبر ، فقال : يافقيه ، أمرها عندى خفيف .

وقال لى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس : قال لى مرة : مايعجبك أن تكون عندك عوادة ؟ فقلت : ما أكره ذلك ، وأنشدته لبعضهم :

غنت ، فأخفت صوتها فى عودها فكأنما الصوتان صوت العود
هيفاء ، تأمر عودها فيطيعها أبدًا ، ويتبعها اتباع ودود
وكأنما الصوتان حين تمازجا بنت الغمامة وابنة العنقود

فقال : أعده علىّ ، فأعدته حتى حفظه .

وقال لى شيخنا أثير الدين : رآنى مرة ومعى شاب أمرد أتحدث معه ، فقال: يا أبا حيان ، أنت تحبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : أنتم يا أهل الأندلس فيكم خصلتان : محبتكم الشباب ، وشربكم الخمر ! فقلت : أما الخمر والله ماعصيت الله به ، وأما الشباب فما أشك أن أهل مصر أفسق منا ! قال : فتبسم .

وقال شيخنا أثير الدين : أنشدته مرة لنفسى :

على قدر حبى فيك وافَى لى الصبر فلست أبالى كان وصلك أم هجر
وما غرضى إلا سلام ونظرة وقد حصلا ، والذل يأنفه الحر
سأسلوك ، حتى لا أراك بناظرى وأنساك ، حتى لايمر بك الفكر

فقال : أعده على ، فأعدته عليه حتى حفظه .

وكان عديم البطش ، قليل المقابلة على الإساءة .

وأخبرنى برهان الدين المصرى الحنفى الطبيب ـ وكان قد استوطن قوص سنين ـ قال : كنت أباشر وقفًا ، فأخذه منى شمس الدين محمد ابن أخى الشيخ ،

وولاه لآخر ، فَعَزَّ علىّ ، ونظمت أبياتا فى الشيخ ، فبلغه ، فأنا أمشى مرة خلفه ، وإذا به قد التفت إلى ، وقال : يافقيه ، بلغنى أنك هجوتنى . فسكت زمانا ، فقال : أنشدنى ، وألحّ علىّ ، فأنشدته :

وليت فولى الزهد عنك بأسره   وبان لنا غير الذى كنت تظهر
ركنت إلى الدنيا ، وعاشرت أهلها   ولو كان عن جبر لقد كنت تعذر

فسكت زمانا ، وقال : ما حملك على هـذا ؟ فقلت : أنا رجل فقير ، وأنا أباشر وقفا أخذه منى فلان ، فقال : ما علمت بهذا . أنت على حالك . فباشرت الوقف مدة ، وخطر لى الحج ، فجئت إليه أستأذنه ، فدخلت خلفه ، فالتفت إلى ، وقال : أمعك هجو آخر ، فقلت : لا ، ولـكنى أريد الحج ، وجئت أستأذن سيدى . فقال : مع السلامة ما نغيّر عليك .

وقال لى عبد اللطيف بن القفصى : هجوته مرة ، فبلغه ، فلقيتـه بالكاملية فقال : بلغنى أنك هجوتنى ، أنشدنى ، فأنشدته بليقة أولها :

قاضى القضاة عزل نفسه   لما ظهر للناس نحسه

إلى آخرها . فقال : هجوت جيداً .

وحكى لى القاضى سراج الدين يونس الأرمنتى قاضى قوص قال : جئت إليه مرة ، وأردت الدخول ، فمنعنى الحاجب ، وجاء الجلال العسلوجى فأدخله وغيره ، فتألمت وأخذت ورقة وكتبت فيها :

قل للتقى الذى أضحت رعيته   راضون عن علمه وعن عمله
انظـــر إلى بابك يلوح من خللـــه
باطنـــه رحمـــة وظاهره   يأتى إليك العذاب من قبله

ثم دخلت ، وجعلت الورقة فى الدواة ، وظننت أنه ما رآنى وقت . فقال : اجلس مافى هذه الورقة ؟ فقلت : يقرؤها سيدنا . فقال : اقرأها أنت ، فكررت عليه ، وهو يرد على ، فقرأتها ، فقال : ما حملك على هذا ؟ فحكيت له ، فقال : وقف عليها أحد ؟ فقلت : لا ، فقال : قطعها .

وحكى لى أيضاً قال : وُلِّى الشيخ السفطى بلبيس ، وولانى بعد ذلك البهنسا . وقال : يافقيه . أنا أُوَلِّ الرجل الصغير العمل الكبير — وكان السفطى إذ ذاك فيه شبو بية — وأولى الرجل الكبير العمل الصغير . فقلت : إن كان سيدنا يتصرف لنفسه فيعمل ماشاء . وإن كان يعمل للسلمين فما يخفى مافى هذا .

وحكاياته فى ذلك كثير .

وله نثر أحسن من الدر ، ونظم أبهج من عقود الجوهر ، ولو لم يكن له إلا ماتضمنته خطبة « شرح الإلمام » لشهد له من الأدب بأوفر الأقسام ، وقوله فيها — بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم — :

و بعد ، فإن العفة فى الدين منزلة لايخفى شرفها وعلاؤها ، ولا يحتجب عن العقول طوالعها وأضواؤها ، وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل ، البحث عن معانى حديث نبيه المرسل ، إذ بذلك تثبت القواعد و يستقر الأساس ، وعنه يقوم الإجماع ، و يصدر القياس ، وما تقدم شرعاً تعين تقديمه شروعاً ، وما كان محمولا على الرأس لايحسن أن يجعل موضوعاً ، لكن شرط ذلك [عندنا] أن يحفظ هذا النظام ، ويجعل الرأى هو المأموم ، والنص هو الإمام ، وترد المذاهب إليه ، وتضم الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، وأما أن يجعل الفرع أصلا يرد النص إليه بالتكلف والتحيل ، ويحمل على أبعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ، و يرتكب فى تقرير الآراء الصعب والذلول ، و يحمل على التأويلات ماتنفر منه النفوس وتستنكره العقول ، فذلك عندنا من أردإ المذاهب وأسوإ طريقة ، ولا نعتقد أنه تحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه ؟ وأنى يصح الوزن بميزان مال أحد أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته عصبية العصبية ؟ وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحميّه ؟ و إنما يحكم بالعدل عند تعادل الطرفين ، و يظهر الجور عند تقابل المنحرفين .

هذا ، ولما برز ما أبرزته من كتاب « الإلمام » وكان وضعه مقتضياً للاتساع ،

ومقصوده موجباً لامتداد الباع ، عدل قوم عن استحسان إطابته ، إلى استخشان إطالته ، ونظروا إلى المعنى الحامل عليه ، فلم يقضوا بمناسبته ولا إخالته ، ولم يكن ذلك مانعاً لى من وصل ماضيه بالمستقبل ، ولا موجباً لأن أقطع ما أمر الله به أن يوصل .

* فما الكرج الدنيا ، ولا الناس قاسم *

وله النظم الفائق ، المشتمل على المعنى البديع واللفظ الرائق السهل الممتنع ، والمنهج المستعذب المنبع ، والذى يصبو إليه كل فاضل ، و يستحسنه كل أديب كامل .

أنشدنا شيخنا أثير الدين [محمد] أبو حيان ـ أبقاه الله تعالى فى عافية قال : أنشدنى الشيخ الحافظ تقى الدين أبو الفتح محمد القشيرى [لنفسه] قوله :

قد جرحتنا يَدُ أيامنا ... وليس غير الله من آسى
فلا ترج الخلق فى حاجة ... ليسوا بأهل لسوى الياس
ولا تزد شكوى إليهم ، فلا ... معنى لشكواك إلى قاسى
فإن تخالط منهم معشرا ... هو [يت] فى الدين على الراس
يأكل بعض لحم بعض ، ولا ... يحسب فى الغيبة من باس
لا ورع فى الدين يحميهم ... عنهـــا ولا حشمة جلاس
لا يعدم الآتى إلى بابهم ... من ذلة الكلب سوى الخاسى
سأهرب من الناس إلى ربهم ... لا خير فى الخلطة بالناس

وأنشدنى أيضا مما أنشده له لنفسه قوله :

وقائلة : مات الكرام ، فمن لنا ... إذا عضنا الدهر الشديد بنابه ؟
فقلت لها : من كان غاية قصده ... سؤالا لمخلوق ، فليس بنابه
لئن مات من يرجى فمعطيهم الذى ... يرجُّونه باقٍ ، فَلُوذُوا ببابه

قال : وأنشدنا لنفسه قوله :

ومستعبد قلبه المحب وطرفه ... بسلطان حسن لا ينازع فى الحكم

متين التقى ، عف الضمير عن الخنا   رقيق حواشي الطرف والحس والفهم
يناوانى   مسواكه   فأظنه   تحيل فى رشفى الرضاب بلا إثم

وأنشدنى الشيخ العلامة ركن الدين محمد بن القويع رحمه الله قال : أنشدنى الشيخ تقى الدين لنفسه :

إذا كنت فى نجد وطيب نسيمها   تذكرت أهلى باللواء فمحجرى
وإن كنت فيهم ذبت شوقا ولوعة   إلى ساكنى نجد وعيل تصبرى
وقد طال ما بين الفريقين قصتى   فمن لى بنجد بين أهلى ومعشرى ؟

وأنشدنى له الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، وأنشدنى فى ذلك الشيخ أثير الدين أبو حيان قالا : أنشدنا الشيخ تقى الدين لنفسه :

أحبه قلبى والذين يذكرهم   وترداده فى كل وقت تعلق
لئن غاب عن عينى بديع جمالكم   وجاء على الأبدان حكم التفرق
فما ضرنا بُعد المسافة بيننا   سرائرنا تسرى إليكم فتلتقى

ومن مشهور شعره : قوله الذى أنشدنيه أقضى القضاة شمس الدين بن القماح قال : أنشدنا الشيخ تقى الدين لنفسه قوله :

يهيم قلبى طربا عندما   أستلمح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد قلبى ، وقد   أصبح لى حسن الحجازيا
يا هل أقضى حاجتى من منى   وأغذ البُدْن المهاريا
وأرتوى من زمزم فهى لى   ألذ من ريق المهاريا ؟

وأنشدنى الشيخ الفقيه شرف الدين محمد بن محمد المعروف بابن القاسم أنشدنى شيخنا تقى الدين القشيرى لنفسه قوله :

أهل المناصب فى الدنيا ورفعتها   أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا ، لانا غير جنسهم   منازل الوحش فى الإهمال عندهم
فمالهم فى توقى ضرنا نظر   ومالهم فى ترقى قدرنا هم

فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان العلم والعدم

وأنشدنا أيضا ، قال : أنشدنا الشيخ رحمه الله لنفسه قوله :

كم ليلة فيك واصلت السُّرى لا نرقد الليل ولا نستريح
قد كلت العيش بجد الهوى واتسع الكرب وضاق الفسيح
وكادت الأنفس مما بها تزهق ، والأرواح منها تطيح
واختلف الأصحاب : ماذا الذى يرد من أنفسهم أو يريح ؟
فقيل : تعريسهم ساعة وقيل : بل قربك . وهو الصحيح

وأنشد عنه القاضى الفقيه المحدث تاج الدين عبد الغفار بن عبد الكافى السعدى ـ ونقلت من خطه ـ قال : أنشدنى لنفسه قوله :

يا معرضا عنى ، ولست بمعرض بل ناقضا عهدى ، ولست بناقض
أتعبتنى بخلائق لك لم تفد فيها ، وقد جمحت رياضة رائض
أرضيت أن تختار رفضى مذهبا فيشنع الأعداء : إنك رافضى

ووجدت بخط شيخنا تاج الدين بن الدشناوى أنشدنى الشيخ تقى الدين لنفسه قوله :

تمنيت أن الشيب عاجل لمّتى وقرب منى فى صباى مزاره
لآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقاره

وأنشد له ابن عبد الكافى ـ ونقلت من خطه ووجدته بخط شيخنا تاج الدين ويقال : إنه نظم ذلك فى ابن الجوزى ـ قوله :

دققت فى الفطنة حتى لقدْ أبديت ما يسحر أو يسبى
وصرت فى أعلا مقاماتها حيث يراك الناس كالشهب
وصار ما صيّرت من جوهر الـ حكمة فى الشرق وفى الغرب
ثم تنازلت إلى حيث لا ينزل ذو فهم وذو لُبِّ

تثبت ما تجــود فطرة الـ ... عقل ، ولا تشعر بالخطب
أنت دليل لى على أنه ... يحـــال بين المرء والقلب

وأنشدنى شـيخنا أقضى القضــاة شمس الدين محمد بن القماح له ، وقال : إنه نظمها فى بعض الوزراء ، ومنها قوله :

مقبلٌ مدبر ، بعيــد قريب ... محسن مذنب ، عدوٌّ حبيب
عجب من عجائب البحر والبـ ... ـر ، ونوع فرد ، وشكل غريب

وأنشدنى الفقيه الفاضل جمال الدين محمد بن هارون القنائى وشيخنا أثير الدين قالا : أنشدنا الشيخ تقى الدين [أبو الفتح] لنفسه قوله :

سرينا ، ولم يظهر لنا الغيم بارقا ... ولا كوكبا نهدى به ، فنسير
وقال صاحبى : قد هلــكنا ، فقلت : لا ... هلاك علينا ، والدليل بصير

وفضائله كثيرة ، ومناقبه شهيرة ، قد امتلأت منها الآفاق ، وسارت بها الركبان والرِّفاق ، وهو ممن اشتهر ذكره وشاع ، وملأ المسامع والبقاع ، ومدحه العلماء والأدباء ، وأبناء الفضائل النجباء ، ولما كان يخطب بقوص سمعه الأديب أبو الحسين الجزار ، فأنشد مادحا له :

يا سـيد العلماء والأدباء ، والـ ... بلغاء والخطبـــاء والحفّاظ
شنفت أسماع الأنام بخطبة ... كست المعانى رونق الألفاظ
أبكت عيون السامعين فصولها ... فزكت على الخطباء والوعاظ
وعجبت منها : كيف حازت رقة ... مع أنها فى غاية الإغـلاظ ؟
ستقول مصر إذا رأتك لغيرها : ... ما الدهر إلا قسـمة وأحاظى
ويقول قوم إذ رأوك خطيبهم : ... أنسيتنا قُسًّـــا بسـوق عكاظ

و بلغنى : أنه أعطاه شيئا له صورة . وكان كثير المكارم النفسانية ، والمحاسن الإنسانية ، لـكنه كان غالبا فى فاقة تلزمه الإضافة ؟ فيحتاج إلى الاستدانة . وقد تفضى به إلى بذل الوجه المعروف بالصيانة .

حكى لى شيخنا قاضى القضاة أبو عبد الله محمد بن جماعة : أنه كان عنده أمين الحكم بالقاهرة ، وكان فيه اجتهاد فى تحصيل مال الأيتام . قال شيخنا : فأحضر عندى مرة الشيخ تقى الدين ، وادعى بدين عليه للأيتام . فتوسطت بينهما ، وقررت معه أن تكون جامكية الكاملية للدَّين ، والفاضلية لكلفه . ثم قلت له : أنا أشح عليك بسبب الاستدانة ، فقال : ما يوقعنى فى ذلك إلا محبة الكتب .

وحكى لى شيخنا تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوى قال : حضرت عنده ليلة وهو يطلب شمعة فلم يجد معه ثمنها ، فقال لأولاده : فيكم من معه درهم ؟ فسكتوا وأردت أن أقول : معى درهم ، فخشيت أن ينكر على . فإنه كان إذ ذاك قاضى القضاة ، فكرر الكلام ، فقلت : معى درهم . فقال : ما سكوتك ؟

وكان الشيخ تاج الدين : تلميذه وتلميذ أبيه ، وابن صاحبه : والشيخ تقى الدين ، والشيخ جلال الدين والد شيخنا تاج الدين تزوجا ببنتى البرهان ابن الفقيه نصر .

وحكى القاضى شهاب الدين بن الكويك التاجر الكارمى رحمه الله قال : اجتمعت به مرة ، فرأيته فى ضرورة . فقلت : يا سيدنا ما تكتب ورقة لصاحب اليمن ؟ اكتبها وأنا أقضى فيها الشغل . فكتب ورقة لطيفة فيها هذه الأبيات :

تجادل أرباب الفضائل إذ رأوا ... بضاعتهم موكوسة الحظ فى الثمن
فقالوا : عرضناها ، فلم نلف طالبا ... ولا من له فى مثلها نظر حسن
ولم يبق إلاَّ رفضها واطَّراحها ... فقلت لهم : لاتعجلوا ، السوق باليمن

وأرسلها إليه . فأرسل إليه مائتى دينار . واستمر يرسلها فى كل سنة إلى أن مات ، يعنى صاحب اليمن .

وحصل له مرة ضرورة ، فسافر إلى الصعيد ، وتوجه إلى إسنا للشيخ بهاء الدين فأعطاه دراهم [وكتبا] ، وأعطاه شمس الدين أحمد بن السديد شيئاً له صورة .

وكان فيه إنصاف . حكى لى شيخنا تاج الدين الدشناوى قال : خلوت به مرة فقال : يا فقيه ، فزت برؤية الشيخ زكى الدين عبد العظيم ؟ فقلت : وبرؤيتك ، فكرر الكلام ، وكررت الجواب ، فقال : كان الشيخ زكى الدين أدين منى ، ثم سكت ساعة ، وقال : غير أنى أعلم منه .

وكان يحاسب نفسه على الكلام ، ويأخذ عليها بالملام ، لكنه تولى القضاء فى آخر عمره ، وذاق من حلوه ومره ، وحط ذلك عند أهل المعارف والأقدار من علو قدره ، وحَسَّن الظن ببعض الناس ، فدخل عليه الباس ، وحصل له من الملامة نصيب ، والمجتهد يخطىء ويصيب ، ولو حيل بينه وبين القضاء لكان عند الناس أحمد عصره ، ومالك دهره ، وثورى زمانه ، والمتقدم على كثير ممن تقدمه ، فكيف بأقرانه ؟ على أنه عزل نفسه مرة بعد مرة ، وتنصل منه كرة بعد كرة ، والمرء لا ينفعه الحذر ، والإنسان تحت القضاء والقدر . وكان يقول : والله ما خار الله لمن ُبلى بالقضاء .

وأخبرنى الشيخ شمس الدين بن عدلان أنه قال له ذلك مرة ، وقال : يا فقيه لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال [والحساب] لكفى .

وفى هذا المعنى نظمت أنا شعراً :

لا تَلِيَنَّ الدهرَ أمرَ الورى واقنع من الرزق ببعض النوال
لو لم يكن فى الحشر فيه سوى طول وقوف المرء عند السؤال
لكان أمراً مؤلما محزنا يلهيك عن أهل وجاه ومال

ودرس بالفاضلية ، والمدرسة المجاورة للشافعى ، والكاملية ، والصالحية بالقاهرة . ودرس بقوص بدار الحديث ببيت له . وله فى القضاء آثار حسنة . منها : انتزاع أوقاف كانت أخذت ، واقتطعت لمقطعين . ومنها : أن القضاة كان يُخلع عليهم الحرير ، فخلع على الشيخ الصوف واستمرت . ورتب مع الأوصياء مباشراً من جهته ، وغير ذلك . وكان يكتب إلى النواب يذكرهم ويحذرهم .

ومما اشتهر من كتبه : ما كتب به إلى [المخلص] البهنسى قاضى إخميم ـ وكان من القضاة فى زمنه ـ كتاباً ، أوله بعد البسملة : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) هذه المكاتبة إلى فلان الدين ، وفقه الله تعالى لقبول النصيحة ، وآتاه لما يقربه إليه قصداً صالحاً ونية صحيحة ، أصدرها إليه بعد حمد الله ، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويمهل حتى يلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور ، تذكره بأيام الله تعالى (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وتحذره صفقة من باع الدنيا بالآخرة ، فما أحد سواه مغبون ، عسى الله أن يرشده بهذا التذكار وينفعه ، وتأخذ هذه النصائح بحُجَزه عن النار ، فإنى أخاف أن يتردى فيها فيجر مَنْ ولاه ـ والعياذ بالله ـ معه ، والمقتضى لإصدارها : ماالحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب ، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يجب للرب على المربوب ، ومن أنسهم بهذه الدار ، وهم يُزعَجون عنها ، وعلمهم بما فى أيديهم من عقبة كؤود وهم لايتحصلون منها ، ولاسيا القضاة الذين تحملوا الأمانة على كواهل ضعيفة ، وظهروا بصور كبار وهِمَم نحيفة ، ووالله إن الأمر لعظيم ، وإن الخطب لجسيم ، ولا أرى مع ذلك أمناً ولا قراراً ولا راحة ، اللهم إلا رجلا نبذ الآخرة وراءه ، واتخذ إلهه هواه ، وقصر هَمَّه وهمته على حظ نفسه ودنياه ، فغاية مطلبه حب الجاه ، والمنزلة فى قلوب الناس ، وتحسين الزى والملبس والمركب والمجلس ، غير مستشعر خسة حاله ، ولا ركاكة مقصده . فهذا : لا كلام معه (فإنك لاتسمع الموتى) (وما أنت بمسمع من فى القبور) فاتق الله (الذى يراك حين تقوم) واقصر أملك عليه ، فإن المحروم من فضله غير مرحوم ، وما أنا وأنتم أيها النفر إلا كما قال حبيب العجمى ، وقد قال له قائل « ليتنا لم نخلق . قال : قد وقعتم ، فاحتالوا » فإن خفى عليك بعد هذا الخطر ، وشغلتك الدنيا أن تقضى من معرفتها الوطر ، فتأمل كلام النبوة « القضاة ثلاثة » وقول النبى صلى الله

عليه وسلم لبعض أصحابه مشفقاً عليه « لا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تلين مال يتيم » لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . هيهات جف القلم ، ونفذ أمر الله ، فلا راد لما حكم ، ومن هنالك شم الناس من فم الصديق رائحة الكبد المشوية . وقال الفاروق «ليت أم عمر لم تلده » واستسلم عثمان ، وقال « من أغمد سيفه فهو حر » وقال عليٌّ والخزائن مملوءة بين يديه « من يشترى منى سيفى هذا ؟ ولو وجدت ما أشتري به رداء مابعته » وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز ، فمات من خشية العرض . وعلق بعض السلف فى بيته سوطاً يؤدب به نفسه إذا فتر . أفترى ذلك سدى أم وضح : أنا نحن المقربون وهم البعداء ، وهذه والله أحوال لاتؤخذ من كتاب السلَم والإجارة والجنايات . نعم كلها تنال بالخضوع والخشوع ، و بأن تظمأ وتجوع ، وتحمى عينيك الهجوع ، ومما يعينك على هذا الأمر الذى قد دعوتك إليه ، و يزودك فى سفرك للعرض عليه : أن تجعل لك وقتاً تعمره بالتذكر والتفكر ، وأياماً تجعلها لك معدة لجلاء قلبك ، فإنه متى استحكم صداه صعب تلافيه ، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه ، فاجعل همك الاستعداد للمعاد ، والتأهب لجواب الملك الجواد ، فإنه يقول (فور بك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون) ومهما وجدت من همتك قصوراً ، واستشعرت من نفسك عما بدالها نفوراً ، فاجْأر إليه ، وقف ببابه ، فإنه لايعرض عمن صدق ولا يعزُب عن علمه خفاء الضمائر (ألا يعلم من خلق ؟) وهذه نصيحتى إليك ، وحجتى بين يدى الله — إن فرطتَ — عليك . أسأل الله لى ولك قلبا واعياً ، ولساناً ذاكراً ، ونفساً مطمئنة بمنه وكرمه .

توفى يوم الجمعة حادى عشر صفر عام اثنين وسبعمائة . ودفن يوم السبت بسفح المقطم . وكان ذلك يوماً مشهوداً ، عزيزاً فى الوجود ، سارع الناس إليه ، ووقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه ، رحمه الله تعالى ، وهو ممن تألمتُ على فوات رؤيته ، والتملى بفوائده وبركته ، لكننى انتفعت بالنظر فى كتبه فى الصغر ، واستفدت منها فى الكبر ، وعلقت من تصانيفه مباحث جليلة ، وقيدت من

تآليفه جملا جميلة ، جمع الله الشمل بيني و بينه في دار كرامته ، ومتعني بمشاهدته ، ورؤيته في جنته .

ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص. منهم شعيب بن أبي شعيب والأمير مجير الدين اللمطي . وشرف الدين النصيبيني .

ترجمة عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي (١)

عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الجماعيلي المقدسي ، الحافظ الزاهد أبو محمد . و يلقب تقي الدين ، حافظ الوقت ومحدثه . ولد بجماعيل ـ من أرض نابلس ـ سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . قال الحافظ الضياء : أظنه في ربيع الآخر من السنة ؛ فقد حدثتني والدتي قالت : الحافظ أكبر من أخي الموفق بأربعة أشهر ، ومولد الموفق : في شعبان من السنة المذكورة . وقال المنذري : ذكر عنه أصحابه ما يدل على أن مولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وكذا ذكر ابن النجار في تاريخه : أنه سأل الحافظ عبد الغني عن مولده ؟ فقال : إما في سنة ثلاث ، أو في سنة أربع ، وأربعين وخمسمائة . قال الحافظ والأظهر : أنه في سنة أربع .

وقدم دمشق صغيراً بعد الخمسين ، فسمع بها من أبي المكارم بن هلال ، وأبي المعالي بن صابر ، وأبي عبد الله محمد بن حمزة بن أبي جميل القرشي وغيرهم . ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين ، هو والشيخ الموفق ، فأقاما ببغداد أربع سنين . وكان الموفق ميله إلى الفقه ، والحافظ عبد الغني : ميله إلى الحديث . فنزلا على الشيخ عبد القادر . وكان يراعيهما ويحسن إليهما ، وقرآ عليه شيئاً من الحديث والفقه .

وحكى الشيخ الموفق : أنهما أقاما عنده نحواً من أربعين يوماً ، ثم مات ،

(١) مختصرة من الجزء الثاني من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .

وأنهما كانا يقرآن عليه كل يوم درسين من الفقه ، فيقرأ هو من « الخرق » من حفظه ، والحافظ من كتاب « الهداية »

قال الضياء : و بعد ذلك اشتغلا بالفقه والخلاف على ابن المنى ، وصارا يتكلمان فى المسألة و يناظران . وسمعا من أبى الفتح بن البطى ، وأحمد بن المقرى الكرخى ، وأبى بكر بن النقور ، وهبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق ، وأبى زرعة ، وغيرهم . ثم عادا إلى دمشق .

ثم رحل الحافظ سنة ست وستين إلى مصر والإسكندرية ، وأقام هناك مدة ثم عاد ، ثم رجع إلى الاسكندرية سنة سبعين . وسمع بها من الحافظ السلفى وأكثر عنه ، حتى قيل : لعله كتب عنه ألف جزء ، وسمع من غيره أيضاً .

وسمع بمصر من أبى محمد بن بَرِّى النحوى وجماعة ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم سافر بعد السبعين إلى أصبهان . وكان قد خرج إليها ، وليس معه إلا قليل فلوس فسهّل الله له من حَمَله وأنفق عليه حتى دخل أصبهان ، وأقام بها مدة ، وسمع بها الكثير ، وحصل الكتب الجيدة ، ثم رجع

وسمع بهمدان من عبد الرزاق بن اسماعيل القرمانى ، والحافظ أبى العلاء ، وغيرهما ، و بأصبهان من الحافظين : أبى موسى المدينى ، وأبى سعد الصائغ وطبقتهما ، وسمع بالموصل من خطيبها أبى الفضل الطوسى . وكتب بخطه المتقن مالا يوصف كثرة . وعاد إلى دمشق . ولم يزل ينسخ و يصنف ، و يحدث و يفيد المسلمين ، و يعبد الله ، حتى توفاه الله على ذلك .

وقد جمع فضائل الحافظ وسيرته الحافظ ضياء الدين فى جزأين .وذكر فيها : أن الفقيه مكى بن عمر بن نعمة المصرى جمع فضائله أيضاً

قال الحافظ الضياء : كان شيخنا الحافظ لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له و بينّه ، وذكر صحته أو سقمه . ولا يسأل عن رجل إلا قال : هو فلان ابن فلان الفلانى ، و يذكر نسبه

وأنا أقول : كان الحافظ عبد الغنى المقدسى أمير المؤمنين فى الحديث .

قال : وسمعت شيخنا الحافظ عبد الغنى يقول : كنت يوماً بأصبهان عند الحافظ أبى موسى . فجرى بينى و بين بعض الحاضرين منازعة فى حديث . فقال: هو فى صحيح البخارى ، فقلت : ليس هو فيه . قال : فكتب الحديث فى رقعة ورفعها إلى الحافظ أبى موسى يسأله عنه . قال : فناولنى الحافظ أبو موسى الرقعة وقال : ماتقول ، هل هذا الحديث فى البخارى ، أم لا ؟ قلت : لا . قال : فخجل الرجل وسكت .

قال : وسمعت أبا طاهر بن اسماعيل بن ظفر النابلسى يقول : جاء رجل إلى الحافظ — يعنى عبد الغنى — فقال : رجل حلف بالطلاق : أنك تحفظ مائة ألف حديث ، فقال : لو قال أكثر لصدق . قال الضياء : وشاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر ، اقرأ لنا أحاديث من غير أجزاء ، فيقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه . وسمعت أبا سليمان بن الحافظ يقول : سمعت بعض أهلنا يقول : إن الحافظ سئل : لم لاتقرأ الأحاديث من غير كتاب ؟ فقال: إنى أخاف العُجْب . وسمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن الحافظ ، قال : سمعت على بن فارس الزجاج العلثى الشيخ الصالح ، قال: لما جاء الحافظ من بلاد العجم ، قلت : ياحافظ ، ماحفظت بعد مائة ألف حديث ؟ فقال : بلى ، أو ماهذا معناه . قال : وسمعت أبا محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيبانى — بمرو — يقول: سمعت التاج الكندى — يعنى أبا اليُمْن — يقول : لم يكن بعد الدارقطنى مثل الحافظ عبد الغنى . وسمعت أبا الثناء محمود بن همام الأنصارى يقول : سمعت التاج الكندى يقول : لم ير الحافظ — يعنى عبد الغنى — مثل نفسه .

قلت : وذكر ابن النجار عن يوسف بن خليل ، قال : قال تاج الدين الكندى رأيت ابن ناصر والحافظ أبا العلاء الهمدانى وغيرهما من الحفاظ . مارأيت أحفظ من عبد الغنى المقدسى .

ثم قال الضياء : سمعت أبا العز مفضل بن على الخطيب الشافعى ، قال : سمعت بعض الأصحاب يقول :إن أبا نزار — وهو الإمام ربيعة بن الحسن اليمنى

الشافعي ـ قال : قد رأيت الحافظ السلفي ، والحافظ أبا موسى . وكان الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد أحفظ منهما . قال : وشاهدت في فضائل الحافظ الإمام الفقيه مكي بن عمر المصري : سمعت أبا نزار ربيعة بن الحسن الصنعاني يقول : قد حضرت الحافظ أبا موسى ، وهذا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد ، فرأيت عبد الغني أحفظ منه .

قال الضياء : وأنشدنا إسماعيل بن ظفر ، قال : أنشدنا أبو نزار ربيعة بن الحسن في الحافظ عبد الغني :

يا أصدق الناس في بَدْوٍ وفي حضر — وأحفظ الناس فيما قالت الرُّسل
إن يحسدوك فلا تعبأ بقائلهم — هم الغثاء . وأنت السيد البطل

قال : وأنشدنا :

إن قيس علمك في الورى بعلومهم — وجدوك سحباناً وغيرك باقل

قال : وشاهدت بخط الحافظ أبي موسى المديني على كتاب « تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة » الذي أملاه الحافظ عبد الغني ، وقد سمعه عليه أبو موسى ، وأبو سعد الصائغ ، وخلق كثير ، يقول أبو موسى عفا الله عنه : قلَّ من قَدِم علينا من الأصحاب يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، زاده الله توفيقاً . وقد وفق لتبيين هذه الغلطات ، ولو كان الدارقطني وأمثاله في الأحياء لَصَوَّبوا فعله ، وقلَّ من يفهم في زماننا ما فهم ، زاده الله علماً وتوفيقاً .

وذكره ابن النجار في تاريخه ، فقال : حدث بالكثير ، وصنف تصانيف حسنة في الحديث . وكان غزير الحفظ ، من أهل الإتقان والتجويد ، قيِّماً بجميع فنون الحديث ، عارفاً بقوانينه ، وأصوله ، وعلله ، وصحيحه ، وسقيمه ، وناسخه ومنسوخه ، وغريبه ، ومشكله ، وفقهه ، ومَعانيه ، وضبط أسماء رواته ، ومعرفة أحوالهم ، ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس ، إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء ، وشنعوا به عليه ، وعقد له مجلسا بدار

السلطان حضره القضاة والفقهاء ، فأصر على قوله ، وأباحوا إراقة دمه ، فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء والأكراد ، وتوسطوا فى أمره على أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر ، فأخرج إلى مصر ، وأقام بها خاملا إلى حين وفاته .

قال الضياء : كان شيخنا الحافظ رحمه الله ، لا يكاد يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة ؛ فإنه كان يصلى الفجر ، ويلقن الناس القرآن ، وربما أقرأ شيئاً من الحديث ، فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقيناً ، ثم يقوم يتوضأ ، فيصلى ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل وقت الظهر ، ثم ينام نومة يسيرة إلى وقت الظهر ، ويشتغل إما بالتسميع بالحديث ، أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائماً أفطر بعد المغرب ، وإن كان مفطراً صلى من المغرب إلى عشاء الآخرة ، فإذا صلى العشاء الآخرة ، نام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم قام كأن إنساناً يوقظه ، فيتوضأ ويصلى لحظة كذلك ، ثم توضأ وصلى كذلك ، ثم توضأ وصلى إلى قرب الفجر ، وربما توضأ فى الليل سبع مرات أو ثمانيــة ، أو أكثر ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ماتطيب لى الصلاة إلا مادامت أعضائى رطبة ، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر ، وهذا دأبه ، وكان لا يكاد يصلى صلاتين مفروضتين بوضوء واحد .

وسمعت الحافظ يقول : أضافنى رجل بأصبهان ، فلما قمنا إلى الصلاة ، كان هناك رجل لم يصل ، فقيل : هو شمسى — يعنى : يعبد الشمس — فضاق صدرى ، ثم قمت بالليل أصلى والشمسى يستمع ، فلما كان بعد أيام جاء إلى الذى أضافنى . وقال : إن الشمسى يريد أن يسلم ، فمضيت إليه فأسلم ، وقال من تلك الليلة : لما سمعتك تقرأ القرآن ، وقع الإسلام فى قلبى .

قال : وكان الحافظ لا يرى منكراً إلا غيره بيده أو لسانه ، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولقد رأيته مرة يهريق خمراً ، فجبذ صاحبه السيف ، فلم يخف من ذلك وأخذه من يده ، وكان رحمه الله قوياً فى بدنه ، وفى أمر الله ، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنــكر ، ويكسر الطنابير والشبابات .

وسمعت أبا بكر بن أحمد بن محمد الطحان ، قال : كان بعض أولاد صلاح الدين

قد عملت لهم طنابير، وحملت إليهم ، وكانوا فى بعض البساتين يشربون ، فلقى الحافظ الطنابير تحمل إليهم ، فكسرها ودخل المدينة ، فلما خرج منها لحقه قوم كثير بعصىّ ، ومعه رجل ، فلحقوا صاحبه ، وأسرع الحافظ ، فقال لهم الرجل : أنا ما كسرت شيئاً ، هذا الذى كسر ، قال : فإذا رجل يركض فرساً ، فترجل عن الفرس ، وجاء إلىّ وقبل يدى ، وقال : يا شيخ ، الصبيان ماعرفوك .

وسمعت بعض أصحابنا يحدث عن الأمير درباس المهرانى ، أنه كان دخل مع الحافظ إلى الملك العادل ، فلما قضى الملك كلامه مع الحافظ ، وجعل يتحدث مع بعض الحاضرين فى أمر ماردين وحصارها ، وكان حصارها قبل ذلك ، فسمع الحافظ كلامه ، فقال: إيش هذا ، وأنت بعد تريد قتال المسلمين، ماتشكر الله فيما أعطاك إماما ؟ قال : وسكت الملك العادل ، فما أعادل ولا أبدى ، ثم قام الحافظ وقمت معه ، فلما خرجنا ، قلت له : إيش هذا ؟ نحن كنا نخاف عليك من هذا الرجل ، ثم تعمل هذا العمل ؟ فقال : أنا إذا رأيت شيئاً لا أقد أصبر .

قال الضياء : وكان قد وضع الله له الهيبة فى قلوب الخلق .

قال : وكان رحمه الله ، ليس بالأبيض الأمهق ، بل يميل إلى السمرة ، حسن الشعر ، كثّ اللحية ، واسع الجبين ، عظيم الخلق ، تام القامة ، كأن النور يخرج من وجهه ، فكان قد ضعف بصره من كثرة البكاء ، والنسخ والمطالعة . وكان حسن الخلق ، رأيته وقد ضاق صدر بعض أصحابه فى مجلسه ، وغضب ، فجاء إلى بيته وترضاه ، وطيب قلبه . وكنا يوماً عنده نكتب الحديث ونحن جماعة أحداث ، فضحكنا من شىء وطال الضحك ، فرأيته يتبسم معنا ولا يحرد علينا . وكان سخياً جواداً كريما لا يدّخِر ديناراً ولا درهما . ومهما حصل له أخرجه . ولقد سمعت عنه : أنه كان يخرج فى بعض الليالى بقفاف الدقيق إلى بيوت المحتاجين ، فيدق عليهم ، فإذا علم أنهم يفتحون الباب ترك ما معه ومضى ؛ لئلا يعرفه أحد . وقد كان يفتح له بشىء من الثياب والبرد فيعطى الناس ، وربما كان

عليه ثوب مرقع . وقد أوفى غير مرة سراً بما يكون على بعض أصحابه من الدَّيْن ولا يعلمهم بالوفاء .

ذكر تصانيفه

كتاب « المصباح ، فى عيون الأحاديث الصحاح » ثمانية وأربعين جزءاً ، يشتمل على أحاديث الصحيحين ، كتاب « نهاية المراد ، من كلام خير العباد » لم يبيضه كله ، فى السنن نحو مائتى جزء ، كتاب « اليواقيت » مجلد ، كتاب « تحفة الطالبين ، فى الجهاد والمجاهدين » كتاب « الآثار المرضية ، فى فضائل خير البرية » أربعة أجزاء ، كتاب « الروضة » أربعة أجزاء ، كتاب «الذكر» جزآن ، كتاب « الإسراء » جزآن ، كتاب « التهجد » جزآن ، كتاب « الفرج » جزآن ، كتاب « الصلات من الأحياء إلى الأموات » جزآن ، كتاب « الصفات » جزآن «محنة الإمام أحمد » ثلاثة أجزاء كتاب «ذم الرياء» جزء كبير ، كتاب « ذم الغيبة » جزء ضخم ، كتاب « الترغيب فى الدعاء » جزء كبير ، كتاب « فضائل مكة » أربعة أجزاء ، كتاب « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » جزء ، كتاب «فضائل رمضان» جزء ، وجزء فى «فضائل عشر ذى الحجة » وجزء فى « فضائل الصدقة » وجزء فى « فضائل الحج » وجزء فى « فضائل رجب » وجزء فى « وفاة النبى صلى الله عليه وسلم » وجزء فى « الأقسام التى أقسم بها النبى صلى الله عليه وسلم » وكتاب « الأربعين » وكتاب « الأربعين » آخر ، وكتاب « الأربعين من كلا رب العالمين » كتاب « الأربعين » بسند واحد ، وكتاب « اعتقاد الإمام الشافعى » جزء كبير ، وكتاب « الحكايات » سبعة أجزاء ، وكتاب « غنية الحفاظ فى تحقيق مشكل الألفاظ » فى مجلدين ، وكتاب «الجامع الصغير لأحكام البشير النظير » لم يتمه ، وخمسة أجزاء من كتاب لم يتمه ، كتاب « من صبر ظفر » وجزء « فى

ذكر القبور » وأجزاء أخرجها من الأحاديث والحكايات . كان يقرؤها فى المجالس ، تزيد على مائة جزء ، وجزء فى «مناقب عمر بن عبد العزيز » هذه كلها بالاسانيد .

ومن الكتب بلا إسناد : كتاب « الأحكام على أبواب الفقه » ستة أجزاء كتاب « العمدة فى الأحكام » مما اتفق عليه البخارى ومسلم ، جزآن ، وكتاب « درر الأثر على حروف المعجم » تسعة أجزاء ، وكتاب « سيرة النبى صلى الله عليه وسلم » جزء كبير ، كتاب « النصيحة فى الأدعية الصحيحة » جزء ، كتاب « الاقتصاد فى الاعتقاد » جزء كبير ، كتاب « تبيين الإصابة لأوهام حصلت فى معرفة الصحابة » الذى ألفه أبو نعيم الأصبهانى ، فى جزء كبير ، وكتاب « الكمال فى معرفة الرجال» يشتمل على رجال الصحيحين وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة فى عشر مجلدات ، وفيه ذكر محنته .

توفى يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ستمائة . وبقى ليلة الثلاثاء فى المسجد ، واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء مالا يحصيهم إلا الله عز وجل . ودفناه يوم الثلاثاء بالقرافة ، مقابل قبر الشيخ أبى عمرو ابن مرزوق . رحمه الله ورضى عنه ، وألحقه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ترجمة الوزير عماد الدين بن الأثير (١)

إسماعيل بن أحمد بن سعيد الشيخ عماد الدين بن الأثير الحلبى الكاتب .

كان أحد كتاب الدرج بالقاهرة ، ثم ترك ذلك تعبداً وتزهداً .

وكان فاضلا ، من بيت كتابة ونظم ونثر . وله خطب مدونة . وهو الذى علق « شرح العمدة » عن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد . وشرح قصيدة ابن عبدون الرائية التى رثى بها بنى الأفطس .

عدم المذكور فى وقعة التتار سنة تسع وتسعين وستمائة . رحمه الله تعالى

(١) لم نجد له ذكرا إلا هذه النبذة فى كتاب «المنهل الصافى» لابن تغرى بردى مخطوط بدار الكتب